الموسيقار الكبير محمد علي الدباشي .. بعد أكثر من " 34 " عاماً من الرحيل :

كانت محبه لي و مجلس داخلي . . و اليوم قدني في محلي شوف ناس

عدن ((الأمناء)) عيدروس زكي :

((بَرَّع شُلْ نَفْسَك من أرض الجنوب
إرفع قَبْل تُهْلك يا هذا الغصوب
بَرَّع . . بَرَّع . . بَرَّع من أرض الجنوب
إرفع من بلادي من أرض الجنوب
ما ينفع خداعك ذا كله كذوب
بَرَّع . . بَرَّع . . بَرَّع من أرض الجنوب
بازوكا سلاحي و المدفع ينوب
و الجبهة تنادي تتحَدَّى الغصوب
بَرَّع . . بَرَّع . . بَرَّع من أرض الجنوب
إرفع من بلادي من أرض الجنوب
ما ينفع خداعك ذا كله كذوب
بَرَّع . . بَرَّع . . بَرَّع من أرض الجنوب
" ردفان " في نضاله ما يُرْهَب قتَال
قامت به رجاله و الرَّئيس " جَمَال "
بَرَّع . . بَرَّع . . بَرَّع مَن أرض الجنوب
شاهدتوا نضاله في يوم القتَال
في كل المعارك ما يخشى الحروب
بَرَّع . . بَرَّع . . بَرَّع من أرض الجنوب)) .

بهذه الأبيات انبرى الشاعر الجماهيري الجنوبي الكبير الأستاذ الرَّاحل السَّيِّد صالح أحمد صالح عبد الله الهاشمي ، الشهير بـ " اللَبَنْ " ، لطيبة قلبه الأبيض بنقاء " الحليب " و صفائه ، و منه ــ أساساً ــ أتاه شعبياً و التصق به هذا اللَّقب " اللَبَنْ " ، ناظماً شعره الوطني إبَّان الوجود البريطاني الصديق ، في دولة الجنوب العربي ، و أهدى القصيدة نفسها إلى الموسيقار الفنان و الملحن الجنوبي الكبير الأستاذ الرَّاحل الشيخ محمد علي سعيد الدَّبَاشي ، الذي بدوره نفخ فيها من سحر روح ألحانه الرَائعات الخالدات ، و بالرغم من مرور نحو نصف قرن و نصف عقد من زمان القرن الميلادي العشرين الفارط ، إلا أن كلمات الأغنية الوطنية ذاتها ، ما زالت تواكب مرحلتنا الوقتية هذه ، نتيجة ما عانيناه نحن أهل الجنوب من احتلالين عسكريين بربريين " يَمَنِيَّيْن " حديثين في العامين " 1994 م " ، و " 2015 م " .

ميلاد " الدَّبَاشي " و حياته و أسرته و وفاته

الفنان العملاق الرَّاحل محمد علي سعيد الدَّبَاشي ، المولود يوم الأحد 28 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 2 يناير " كانون الأول " 1927 م ، بمنطقة بيت عياض بمديرية تُبن بمحافظة لحج ، و عاش بمدينة الحوطة حاضرة السلطنة العبدلية " سلطنة لحج " ، المتلاشية جوهراً و عيناً الحاضرة ــ الآن ــ تاريخاً و أثراً بذِكْرها السَّرمَدي على أنقاض العهد العتيق العتيد المُنْصَرف فحسب ، والدته " عليَّة علي محمد الغزيفي " ، و درَسَ الفنان محمد علي سعيد الدَّبَاشي ، المرحلة التعليمية الابتدائية فقط ، و تَزَوَّج و خَلَّف " 13 " فرداً من البنين و البنات ، و هو من أسرة فقيرة ، إذ بدأ حياته فلَّاحاً بسيطاً ، و بعدها عَمل شُرطيَّاً في الأمن العام ، ثم اشتَغَل في الثروة الحيوانيَّة الحكوميَّة " مشروع الدَّوَاجن " ، و عقبها عَمل كاتباً في وزَارة الإسكان في العَاصمة عدن ، و استقر في هذا العمل حتى وافته المنية مساء يوم الجمعة 5 جمادى الأولى 1403 هـ الموافق 18 فبراير " شَبَاط " 1983 م ، بعد مرض ألم به لأيام عدَّة ، أي مرَّ على غيابه عنَّا و رحيله جسداً اليوم ، حوالى " 34 " عاماً و شهراً واحداً و نصف الشهر ، بعد حياة حافلة بالعطاء الفني الزَّاخر و عيشة وديعة متواضعة ، أحبه فيها النَّاس كافة و عشقوا فنه العريق .

لَحَّنَ للصَّف الشِّعري الأول و غَنَّى

تعامل الموسيقار " الدَّبَاشي " مع شعراء الصَّف الصَّداري الأول لشعراء الأغنية الجنوبيَّة اللَّحجيَّة الشهيرة ، فغنَّى من كلمات و ألحان الشاعر و الفنان الكبير الأمير الرَّاحل أحمد بن فضل بن علي بن محسن العَبْدَلي " القمندَان " : رائعته : " طبت يا المضنون " و دونها منَ الأغاني " القُمندَانيَّة " ، كما غنَّى " الدَّبَاشي " ، من كلمات الشاعر و الفنان الكبير الرَّاحل عبد الله هادي سُبَيت ، و ألحان الشاعر و الفنان الكبير الأمير الرَّاحل عبد الحميد عبد الكريم عبد الله العبدلي : بديعتهم ثلاثيتهم : " آسري حبِّه و با حبِّه جنَان " ، و لَحَّن و غَنى للشاعر الرَّاحل : مسرور مبروك عوض : " يا زمان النُّور " ، و " شل الشلن و اصرفه سنتات " ، و " عشق الطفر بس لا كانه " ، و للشاعر الرَّاحل صالح أحمد فقيه : خالدته : " شراحي سَمِّعوا الأوظاف " ، و للشاعر الرَّاحل علي عوض مُغَلس : " من فين لي قلب صابر ؟ ! " ، و " عيش يا هذا و با تنظر عجب " ، و " كَثَّروا بالهرج و المكسب عمي " ، و " قال أبو مهدي " ، و " قال أبو محمود و أحمد " ، و " يا دُر في دار عامر " ، و " كانت محبة لي و مجلس داخلي " ، و للشاعر الرَّاحل محمود علي السَّلامي لَحَّن و غَنى : " في الكمسري ليتني أقبر " ، و هي مجتمعة مُسَجَّلة في " إذاعة عدن " ، كما غنَّى إسطوانات لآخرين .. منها : " طبت يا المضنون " لـ القمندَان " ، و " مُسَيْمِير الوطن بعد حَوْطتنَا " ، و " من لَحِجْ للزَّاحَة شَدُّوا الليل " ، و " فَليعيش الثوَّار " ، و " كَثَّروا بالهرج و المكسب عمي " ، و عاصر أجيال لحج الفنية الأطواد الأعلام .. أمثال : مسعد أحمد حسين اللَّحجي ، و هادي سعد النوبي ، و صالح عيسى يوسف ، و سالم الطميري ، و أحمد يوسف الزُّبيدي ، و صالح يوسف الزُّبيدي ، و عبد الله محمد حنش ، و حسن محمد عَطاء الله ، و سالم عبد الله المولد ، و محمد صالح حمدون ، و فيصل علوي سعد ، و عبد الكريم عبد الله توفيق ، و غيرهم كثر .

مدرسة فنيَّة غنائيَّة ضخمة مستقلَّة

لقد أسَّس الفنان الكبير محمد علي سعيد الدَّبَاشي ، مدرسته الفنية الغنائية الضخمة المستَقلَّة به ، من خلال تميزه الفطري النابغ باختياره للنصوص الشعرية الفريدة ، التي التصقت تماماً بواقع البسطاء و معاناتهم سواء معيشياً أو عاطفياً لحياتهم اليومية السيَّارة على بركات الله تعالى ، و الأشعار المُلَحَّنة و المغنَّاة " دَبَاشيَّاً " ، ما هي إلا فراسات ثاقبة لشعراء أقحاح ، و تَكَهُّنَات تنبؤيَّة مستقبليَّة ذات أبعاد مدياتها لا نهايات لها و مواكبة لكل الأزمنة الماضية و الحاضرة و المُقبلة ، و أجادت ماكينة " الدَّبَاشي " اللِّبيَّة التَّرنُميَّة الشاديَّة صنعاً لحنياً طروباً لكل النَّاس و الأجنَاس حقاً ، فها هي ذي هيئة إذاعة " بي . بي . سي " ، " B . B . C " البريطانية ، من لندن ، كانت تذيع أغانيه العذبة باستمرار لتُسمع العرب و الغرب ، في كل أصقاع العالم و بقاعه ، فَنَّاً غنائياً تراثياً جنوبيَّاً عربيَّاً لحجيَّاً " دَباشيَّاً " أصيلاً ، و للألوان الغنائية المحلية و العَربية الأخرى له فيها مذاهب فارقة في الغناء و المغاير و أدائه " صنعانياً " مثالاً ، ما جعله يبرع فيه أيَّمَا إبهار ، و يرتبط مطربنا النجم " محمد علي سعيد الدَّبَاشي " ، بصلة قرابة مع الفنان الكبير الرَّاحل " محمد صالح عزَّاني " ، كما أدى مُمَثِّلاً شخصيَّة و دور الأمير " القُمندَان " شاعراً و فناناً و عازفاً و ناثراً و مُحَدِّثاً ، في مسلسل " القُمندَان " ، الذي كَتَبَ قصته و سيناريوهه و حواره الشاعر الكبير الرَّاحل " عبد الله هادي سبيت " ، و جرت إذاعته من " إذاعة عدن " .

فن " الدَّبَاشي " الأصيل و الفن الدَّخيل

وَلَى زمان فن " محمد علي سعيد الدَّبَاشي " الجميل الأصيل الفطين الرَّصين ليحل محله ــ راهناً ــ الفن البديل الدَّخيل المهين اليَنين ، الذي يحاول عبثاً الانتساب إلى " الفن " بأي شكل من الأشكال و الصور ، رغماً عن أنف الفن ذاته ، فها هو ذا " الدَّبَاشي " ، و كأني به متوقعاً لما سيحدث للفن من بعد رَحيله عن دنيانا الفانية هذه ، و راح مُلَحِّناً و مغنياً رائعته : " كانت محبة لي و مجلس داخلي " للشاعر الرَّاحل : علي عوض مُغَلس . . إذ يقول فيها :

((كانت محبة لي و مجلس داخلي
و اليوم قدني في مَحَلي شُوْف ناس
أين الصفاء وين الوفاء يَااهْل الهوى ؟ !
قد طار عقلي في المَحَبَّة و الحواس
و يا محبيني كفى ما قد جرى
ياما الهوى دق القوى و العقل حاس
وين المُرُوَّة السابقَة منكم ؟ ! . . و اين
عهد المودَّة و الذي خلف اللبَاس ؟ !
قاصد كرامة منكم يا احبابنا
لكن أسف بختي طلع منكم يَبَاس
وين المحبة الأوَّلة و المرحبا
ما عاد للدُّنيَا معاكم من قياس
و لا تقولوا أننا ملنا و إن
مُتنا ففي ثغر الهَلي حلوى و ماس
صبراً على ما قد جرى يا منيتي
كأس المرارة في هواكم حلو كاس
لا تقطعوا حبل المَوَدَّة و الصفاء
ياما الهوى وسْط الحشا رَفس و داس
لا تجرحوا قلب المُوَلَع و المحب
رقوا و طفوا حُرقته يا خير ناس
وَ بعدكم في الحبَ يا كل المنَى
لا زلت ساعي نحوكم مُقلَة و راس
و هكذا المُحتن يفدي منيته
بالرُّوح من شانه هباء من غير باس)) .